31

نحو حكم الأغلبية في جنوب أفريقية

جنوب أفريقيا والولايات المتحدة

كان الاقتناع بأن الأقلية البيضاء في جنوب أفريقية تحتاج إلى التكيف مع رياح التغيير ـ بحسب تعبير هارولد ماكميلان ـ كونه تحدياً نفسانياً أكثر منه تحدياً دبلوماسياً. إذ في نهاية الطريق كنا نخطط، أن سكان روديسيا الأوربيون لن يكونوا بعدُ قادرين على تكوين مستقبلهم السياسي ـ وربما على المدى البعيد مستقبلهم الاقتصادي. للقيام بهذه المهمة لدينا مصدران للقوة: دعم جنوب أفريقية للتغيير في رودويسيا وناميبيا، إذا استطعنا أن نتوصل إليه، وموقف إدارة فورد نحو حقوق الأقلية البيضاء، الذين يعتمد عليهما تعاون أفريقية الجنوبية والدعم الداخلي الأمريكي.

تحولت روديسيا وناميبيا إلى مسؤولية قانونية بالنسبة إلى جنوب أفريقية دولياً واستنزافاً لمواردها. لم يكن لدى سكان جنوب أفريقية رغبة في تعميق عزلتهم الدولية عن طريق دعم نظام البيض في روديسيا الذي لا يعترف به أي بلد في العالم. وكانوا مستعدين إلى الابتعاد عن ناميبيا لأسباب مشابهة ولكن ببطء، أكبر. ما سعى زعماء جنوب أفريقية إلى تجنبه هو أن يضطروا إلى الوقوف جانباً فيما كانت الأقلية البيضاء في روديسيا تجتاح عسكرياً من جانب رجال حرب العصابات الزنوج. ولا شك أنهم كانوا يأملون في خلق أنظمة بديلة في كل من روديسيا وجنوب أفريقية اللذين وإن كانا دولتين للزنوج، فإنهما ستستقبلان المد الراديكالي قبل أن يصل إلى حدود جنوب أفريقيا.

كان الأفارقة الجنوبيون الأوسع تفكيراً يعرفون أن التحول لن يتوقف هناك. ومع أنهم كانوا يشعرون غريزياً بحتمية قدوم الثّورَان، لم تكن لديهم فكرة عن كيفية التعامل معه أو في أي اتجاه يتحركون. لقد ظلوا معزولين طوال عقود من الزمن، أُسرى ـ بل مشلولين ـ بتاريخهم الفريد من نوعه والمفتقر إلى سعة الأفق.

لقد كان الشعور بالعزلة وتوقُّع السوء هو ما جعل الجنوب أفريقيين يتقبلون بتلهف العرض التبادلي الذي كنت أستطيع أن أقدمه مقابل تعاونهم بشأن روديسيا وناميبيا: الزمن الذي يستطيعون خلاله حل مشكلاتهم. في كل محادثة مع مسؤوليهم، بمن في ذلك رئيس الوزراء، فورستر، كنت أؤكد على أن

المبـادئ التـي عرضتها في لوسـاكا تنطبق على جنوب أفريقيـة أيضاً. «أعلمت السفيـر الجنوب أفريقي روبليـوف (بيـك) بوتا في 14 أيار 1976، بعد وقت قصير من عودتي إلى أفريقية: «أعتقد أن التاريخ يعمل ضدكـم، ولكننـا نريد أن نشتـري الوقت على الأقـل.. إذ فصلنا قضية جنوب أفريقية عـن روديسيا فهذا سيعطينا بعض الوقت للتعامل مع جنوب أفريقية ـ إلا أذا تصرفت روديسيا بطريقة تسرّع المشكلة» .

قد تكون إشارة خفيفة ولكنها أثبتت أنها كافية لتشجيع حوار مع زعماء جنوب أفريقية ـ وما إن التقينا بهم، وبالروديسيين أيضاً حتى تبين لهم أن إدارة فورد لم تكن تشن حملة عنيفة ضدهم بوصفهم أفراداً؛ بل كنا نتعاطف حقاً معهم بسبب الأزمات، المرهقة التي مرت بهم في أجيال متعاقبة. الصفات التي كانت محل انتقادنا في إدارتنا للسياسة الخارجية تتعلق بتوازن المصالح وليست تهجمات تُستخدم الآن لإعادة التأكيـد على مواقفنا المعارضة وسط الأقليات البيضاء. نحن لسنـا بصدد معاقبتهم على أخطاء آبائهم أو حتـى أخطائهـم ـ كما كان يقول كثير من نقادهم في الغرب. بـل كان هدفنا، على العكس من ذلك، أن ندعهـم يواجهـون حقائق حياتهـم وإرشادهم بأرقّ السبـل الممكنة إلى قبول حقيقـة أن هذه تملي عليهم التغييـر على الصعيديـن الأخلاقي والسياسي. وبدون حل سياسي ربما يحكمـون بضع سنوات أخرى على حساب خسران أية إمكانية للبقاء في أفريقية، وأن عليهم أن يتأكدوا أن التفاهم مع الأغلبية الزنجية أمر أساسـي مُلـح. وعندما تحدث فورد وأنا عن ضمان بعض حقوق الأقلية كنـا نفكر في قضية سياسية وليس قضائيـة. لـم نكن نتصرف بالدرجة الأولـى رداً على ضغوط داخلية محافظة بل كنـا نتصرف تعبيراً عن قناعاتنـا، وعلى الرغم من شكوك عميقة تجاه استمرار ديمومـة الضمانات الدستورية، سنفعل كل ما في وسعنا لنجعلها ذات مغزى.

ما إن بدأنا في التعامل مع جنوب أفريقية، حتى أدرجت ناميبيا قضية روديسيا كقضية أساسية. كانت جنـوب غرب أفريقية الألمانية سابقاً تقـع على مرتفع فاصل بين صحراوين. وسكانه الذين كان تعدادهم 850 ألفاً (وعددهم مليونان اليوم) كانوا يضمون الخليط المعتاد مصحوباً بالرسم التعسفي للحدود من قبل القوى الاستعمارية: 45% تقريباً ينتمون إلى قبيلة أوفامبو التي تتمركز على جانبي الحدود مع أنغولا، والباقون ينتمون إلى ما يقارب الـ 9 قبائل أخرى مبعثرة في أرجاء البلاد. وقد أُتبعت هذه الأراضي بكاملها إلى جنوب أفريقية في نهاية الحرب العالمية الأولى بموجب قرار من عصبة الأمم.

في عام 1946، بعد الحرب العالمية الثانية، أبلغت جنوب أفريقية الأمم المتحدة أنها ترغب في إلحاق هذه الأراضي بها. وعندما رفض الطلب، نشأ نزاع بين جنوب أفريقية والأمم المتحدة استمر أربعة عقود تقريبـاً. وفـي الفترة ما بين 1966، و1968 صوتت الأمم المتحدة علـى سلسلة من القرارات لإنهاء وصاية جنـوب أفريقيـة، وأوجـدت مجلساً يتألف مـن 11 دولة من أجـل ناميبيا كسلطة قانونيـة، وكان رد جنوب أفريقية، عملياً، إلحاق هذه الأراضي بها وإعطائها صفة محافظة تابعة لجنوب أفريقية.

في عام 1971 أنهت محكمة العدل الدولية وصاية جنوب أفريقية، وفي عام 1972 صوّت مجلس الأمن على عقوبات ضدها. وقد صوتت على ذلك كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا. وفي نهاية الستينيات ظهرت حركة حرب عصابات تتألف بالدرجة الأولى من قبيلة (أوفامبو) في الشمال. وانضمت حركة (سوابو) (منظمة جنوب غرب أفريقية الشعبية) إلى حركة مقاومة شعبية مسلحة، التي وإن كانت لا تهدد أشراف جنوب أفريقية عسكرياً، فقد زعزعتها سياسياً من جراء اكتساب دعم متزايد من دول العالم الثالث ثم من الديموقراطيات الصناعية أيضاً.

المسيرة الدبلوماسية التي تلت كانت تتوافق مع السيناريو النموذجي لكل نضال آخر من أجل الاستقلال: التخفيف خطوة خطوة من الحكم الاستعماري على أمل واه بأن الدول المسيطرة ستكون قادرة على تجنُّب استلام مستمر للسلطة، وعلى إجراء مفاوضات مقترحة تستبعد حركة حرب العصابات، انتهت إلى جنوح الدولة الاستعمارية إلى نضال مسلح. وفي بداية السبعينيات وافقت جنوب أفريقية على مبدأ حكم ذاتي لناميبيا ولكنها رفضت التعامل مع «سوابو» بسبب نشاطاتها الإرهابية المزعومة، أو الاعتراف بأي قرار من الأمم المتحدة. وعقدت مؤتمراً في ويندهوك، عاصمة ناميبيا، لوضع مشروع دستور ودعت مختلف القبائل إلى إرسال مندوبين عنها. ولم يُطلب من «سوابو» ولا من الأمم المتحدة المشاركة.

في ربيع 1976 عندما تعاملت بعمق مع المسألة الناميبية، كانت القوات الكوبية تقف برباطة جأش عند الحدود الأنغولية. كانت دول المواجهة، ولا سيما زامبيا وموزامبيق وتانزانيا، مع تأييدها السياسي القوي لمنظمة (سوابو)، أبعد جغرافياً عن روديسيا، ولهذا شعرت بضغط أقل على حدودها من قوات حرب العصابات. كانت الأمم المتحدة (مجلس الأمن) قد حددت موعد الحادي والثلاثين من شهر آب لجنوب أفريقية لتنهي وصايتها على ناميبيا. وإذا لم تفعل فإن العقوبات ستكون محتملة. وإذا صوتنا ضدها فسوف نخاطر بتأييد الدول الأفريقية لسياستنا تجاه أفريقية الجنوبية؛ وإذا لم نفعل فسنخاطر بتعاون جنوب أفريقية تجاه مشكلات المنطقة. ولهذا أعطيت ناميبيا، خلال جولتي في أفريقية، أولوية كبيرة، وفي لوساكا دعوت جنوب أفريقية أن تحدد موعداً مبكراً للاستقلال.

وعلى النقيض من ذلك، كانت جنوب أفريقية قلعة التمييز العنصري (الأبارتير)، تظهر وكأنها مفتاح التقدم نحو حكم الأغلبية في أفريقية الجنوبية. جميع الزعماء الأفارقة الزنوج كانوا ينتقدونها بقوة، وجميعهم حثنا على حوار مع زعماء جنوب أفريقية. بيد أن جنوب أفريقية المدانة بوصفها عدوة الحرية لأفريقيا، قد برهنت على تقديم أمل فوري من أجل اختراق سريع نحو حكم الأكثرية، والذي من شأنه في نهاية المسيرة، أن يتركها وحيدة بدون أي حاجز في وجه أفريقية موحدة في مطالبتها بإنهاء سياسية التمييز العنصري. ومع أن مثل هذه المطالب لا بد أن تصبح، عاجلاً أم آجلاً، أمراً لا سبيل إلى مقاومته، فإن زعماء جنوب أفريقية سمحوا لنا أن نرشدهم إلى سبيل يتجاوز في النهاية القيود التي أوجدوها، على الرغم من إعلاناتهم العنيدة خلاف ذلك.

يـدل استعدادهـم للقيام بذلك على مدى تحـول الأفارقة ـ على الأقل الأفريقـان ـ في القرون الثلاثة منـذ وصول الكالفيبين لأول مرة إلى ما كان يدعى «رأس الرجال الصالح» الخالي ليبدأوا حياة بعيدة عن الحروب الدينية في أوروبا القرن السابع عشر. وجلبوا معهم أصولية شديدة أدارت ظهرها لجميع حركات التغييـر العقلانـي التالية في أوروبا. وطـوروا هوية متفردة في تاريخ الاستعمـار الأوروبي (الكولونيالية). وبانقطاعهم عن الوطن الأم فقد ظلوا غير متأثرين بالإرث العقلاني لعصر التنوير أو النظام الديموقراطي للثورة الفرنسية.

كان إحساسهـم بالهويـة شديد التميز إلى حد أنهـم، عندما ألحقت بريطانيـا «كاب بروفينس» أثناء الحروب مع نابليون، ابتعدوا ما يقارب من ألف ميل إلى الشمال. ولم يفعلوا ذلك كونهم مستوطنين فرادى بـل كشعب بكامله، حامليـن معهم مؤسساتهم الحكومية وكنائسهـم ومدارسهم وأحقادهم. وفي موطنهم الجديـد جابه الأفريـكان أعداداً غفيرة من السكان الزنوج وعاملوهم بفوقيـة نابعة من شعورهم الخاص بنوع من التفوق الروحي المستقى من التربة المقفرة.

بيـد أن عزلـة الأفريكان لم تستمـر طويلاً. فاكتشاف الذهـب أغرى المنقبين والتجـار البريطانيين بأراضيهـم الجديـدة. ولكـن «البويـر»، الذين كانوا أقـل تصدياً تجـاه رفاقهم الأوروبيين مـن تصديهم للأفريقييـن قاومـوا هـذا التدفق مما أدى إلـى نشوب «حرب البويـر» حيث جابهـت الجمهوريات البورية الصغيرة الإمبراطورية البريطانية، التي كانت في ذروة قوتها، إلى أن توقفوا.

وضعـت الهزيمـة نهاية لتفـرق الأفريكان الواقعي، ولكنها لـم تقهر عزلتهم الروحيـة. العرقيتان اللتان تنتميان إلى البيض، والمتعايشتان وسط أكثرية سوداء متنامية باستمرار، كانتا تعيشان متفرقتين إحداهما عن الأخرى: فالبريطانيون الذين كانوا، لدواعي التناقض، أكثر ليبرالية وبعداً عن أفريقية، ظلوا استعماريين كعادتهـم، ومتمسكين بقيم وأعراف الوطن الأم، أما الأفريكان فقد كانوا متحدين تجاه ما اعتبروه، خطأً أو صواباً، وطناً لهم، وانفصلوا عن «العالم القديم» لأنهم لم يجدوا عالماً آخر يذهبون إليه.

فـي عـام 1948 كانـت الإحصـاءات الديموغرافيـة للسـكان البيض، الذيـن كان لهـم وحدهم حق التصويـت، لصالـح الأفريـكان. وفي حيـن كان التمييز العنصـري بالمعنى الأمريكي موجـوداً في جميع الأوقات، فإن البوير الذين كانوا المسيطرين الآن شرعوا يغرقون بين الأعراق بتشريع غير عادل فالسكان البالـغ عددهـم ثلاثة ملايين من سكان الـكاب ـ أحفاد السكان الهوتينتوت من سـكان البلاد الأصليين ـ كانـوا محروميـن من حق الانتخاب، كمـا كان شأن الأقلية الهندية البالغ عددها مليـون نسمة. أما الزنوج فإنهم لم يتمتعوا بحق التصويت مطلقاً. وقد صدرت قوانين صارمة تمنع الزواج المختلط وتحدد ترتيبات معيشية منفصلة، وشروطاً للعمل، وتحدّ من حرية الحركة للسكان من غير البيض. كانت سياسة الأبارثيد (التفرقة العنصرية) تعني الإقصاء.

كان على الزنوج أن يعيشوا في مجموعات معزولة بشدة على أرض يكاد لا يمكن العيش فيها، ولا يحظون إلا بأقل درجة من الرعاية الصحية والتعليم والإعانة. وفي حين أن مستوى هذه الخدمات أعلى من أي مكان آخر في أفريقية، فإن انتهاك الكرامة الإنسانية جراء التفرقة العنصرية (الأبارثيد) كان يفوق أية فوائد مادية.

كانت سياسة الأبارثيد تسيء إلى كل مبدأ ديموقراطي غربي. فبسماحها للسكان البيض بأن يحقِّروا الأكثرية المتزايدة للأعراق الأخرى كافة بالاستخدام الوحشي للقوة، أظهرت عدم توافقها مع مستلزمات العيش اللائق كعمليات التصنيع والتعليم.

ومع هذا فإنني عندما زرت جنوب أفريقية عام 1962 باعتبازي أستاذاً جامعياً للتحدث أمام حلقات دراسية نظمتها كنائس لوثرية أوروبية، اقتنعت، رغم كل ما كان يقال ويحدث، أن هذه الأرض الجميلة والحزينة لن ينتهي بها المطاف إلى كارثة، كما كان يتوقع العقل والتاريخ. والأكثر من ذلك أنني بدأت أقتنع أن الأفريكان، الذين يفترض أنهم العنصر الأشد ظلماً من بين السكان البيض، هم الذين سيقودون البلاد، وليس الأقلية البريطانية الليبرالية كما تدل ظواهر الأمور.

لقد بدا لي، من خلال غريزة خفية لا أستطيع وصفها، أن الأفريكان سيجدون طريقة، ولو بعد كثير من الشقاء، للوصول إلى صيغة جديدة ما لهوية جنوب أفريقية، وهذا ما لن يحدث عن طريق الليبرالية الغربية، ولكن بترتيب يتم التوصل إليه بين البيض في جنوب أفريقية وقبائل الزنوج.

لم أتردد قط في موقفي تجاه التفرقة العنصرية (الأبارثيد). ففي كل جولة من المفاوضات مع زعماء جنوب أفريقية لم أترك لديهم أيَّ شك حول سياسة أمريكا المعارضة لها، ولم أذهب قُدماً أكثر من أسمح لهم ببعض الوقت بحيث يتوصلون إلى حل من تلقاء أنفسهم. وفي الثاني من آب 1976 وفي ذروة دبلوماسيتنا الخاصة بجنوب أفريقية، وعندما كانت المحصلة تعتمد بشكل حاسم على تعاون جنوب أفريقية، عبَّرت في خطاب ألقيته أمام مؤتمر وطني لـ «عصبة المدينة» عما كنت أقوله على انفراد مع زعماء جنوب أفريقية:

لا أحد يتحدى ـ بمن في ذلك زعماء أفريقية السوداء ـ حق الأفريقيين الجنوبيين البيض في العيش في بلادهم. إنهم ليسوا بالاستعماريين، فقد عاشوا على الأرض الأفريقية منذ 300 سنة. ولكن البنية الداخلية لجنوب أفريقية متفجرة ولا تنسجم مع أي مفهوم للكرامة الإنسانية.

التفرقة العنصرية بلاء أصاب كثيراً من الأمم في العالم. ولكن جنوب أفريقية تنفرد بمأسسة التفرقة العنصرية من خلال نشر تفريق قسري بين الأعراق يزدري بأي تعريف للمساواة الإنسانية..

الولايات المتحدة، الوفية لمعتقداتها، سوف تستخدم كل نفوذها لتشجيع التغيير السلمي ووضع نهاية لعدم المساواة المتأصل، ومن أجل تكافؤ الفرص، وحقوق الإنسان الأساسية في جنوب أفريقية[1].

كان ذلك على وجه الدقة الموضوع الذي طلبت من سفير جنوب أفريقية بيك بوتا في 14 أيار (مايو) 1976، أن يشرعه بالمرحلة الثانية من الاستراتيجية الأفريقية. وفي غضون أسبوع من عودتي من أفريقية، عرضت أن أقابل رئيس وزراء جنوب أفريقية أو وزير خارجيتها ـ ويستحسن أن يكون اللقاء في أوروبا. وتركت المجال مفتوحاً أمام زيارة تالية إلى جنوب أفريقية. لم يكن ثمة وزير خارجية أمريكي مستعداً للقاء زعماء جنوب أفريقية طيلة 30 عاماً، فضلاً عن التفاوض معهم ـ حتى في منتديات عالمية كالأمم المتحدة. كنت في الواقع أقدم لجنوب أفريقية دوراً في صياغة مستقبل أفريقية الجنوبية مقابل التزام تجاه حكم الأكثرية في الدول المجاورة وفي النهاية في بلدهم. هذا الأمل أظهر وحده مبادرة قوية لكي نكتشف على الأقل إمكانية إيجاد حل في روديسيا وناميبيا. وقد تحدث الرئيس فورد عن التأثير نفسه في مقابلة تلفازية في 18 أيار بمناسبة الانتخابات الأولية في ولاية ميتشيغان قائلاً:

أرى أن ثمة إمكانية ونحن نتحرك إلى الأمام.. (إذا) بدا عن مرحلة ما أن من الحكمة أن أقابل رئيسي دولتي روديسيا وجنوب أفريقية، فسأفعل ذلك بالتأكيد..

إشارته إلى إيان سميث، زعيم روديسيا غير المعترف بها، كون رئيس دولة كان خطأ غير مقصود ـ على الأقل من ناحية الحكمة التقليدية ـ لم يؤثر كثيراً بالنسبة لنا في أفريقية السوداء. ولكن بالنسبة إلى فورد، كانت هذه الملاحظة تعكس حساسية نفسية. ذلك أن أية إشارة تجاه احترام الإنسان سيكون لها تأثير كبير في التخفيف من صلابة إيان سميث وصحبه، والتي كانت الوجه المعاكس لخوفهم من عداء العالم الخارجي والمستقبل الغامض في روديسيا. وقد أضاف فورد تأكيداً على حقوق الأقلية البيضاء:

أيُّ شيء يمكن أن نقوم به لتجنب العنف، أيُّ شيء نستطيع أن نفعله من أجل السير قُدُماً بشأن تقرير المصير، مع الضمانة الكاملة لحقوق الأقلية بما في ذلك الأقلية البيضاء، سيكون كما أعتقد في صالح العالم ككل [3].

أخبرني السفير بيك بوتا من قبل في 14 أيار أن استجابة جنوب أفريقي قد يكشف اللثام عنها في خطبة عامة من جانب وزير الخارجية أو رئيس الوزراء. أجبته بدعابة إلى حد ما: «إذا كان يستطيع أن يقول شيئاً يُظهر أنكم لستم دولة عرقية رجعية بالكامل».

قرر رئيس الوزراء فورستر أن يعطي جوابه في خطبة تصالحية يلقيها أمام نادي الصحافة في كيب تاون، في 18 أيار (مايو)، ووافق، معبراً عن تقريره لانفتاح فورد على الحوار، على تشجيع حلول في روديسيا وناميبيا قائمة على حق تقرير المصير. وهذا ما سمح لنا أن نتخذ الخطوة التالية لترتيب عقد الاجتماع في ألمانيا في نهاية شهر حزيران.

مقابلة مع رئيس وزراء جنوب أفريقية:

في الفترة الفاصلة سعينا إلى تنسيق سياستنا مع الحلفاء الأوروبيين، ولاسيما بريطانيا. ففي 21 أيار، خلال اجتماع مع زملائي البريطاني والفرنسي والألماني، على هامش اجتماع وزراء خارجية حلف «الناتو» أيدت اقتراح جيسكار ديستان لإيجاد صندوق لتنمية أفريقيا: «جاذبية الاقتراح الفرنسي تكمن في أنها تزودنا بإطار سياسي». نحتاج إلى شيء بحيث نستطيع أن نُجمّع البلدان معاً بدون إظهار ذلك، ولكن الحلفاء كانوا حذرين. المراقب الخبير لشؤون «الناتو» كان يرى في تشكيل مجموعة على مستوى نائب وزير «لدراسة» الاقتراح الفرنسي أنه يعني أن معظم الحلفاء كانوا يفضلون تجنب مظهر موقف سياسي غربي موحد من أفريقية، على الأقل في الوقت الحاضر، من أجل أن يتركوا الخيار مفتوحاً من أجل متابعة مصالحهم الوطنية. وفي الختام، اختفى اقتراح جيسكار من أجل برنامج أوروبي موحد من جدول أعمال حلف «الناتو» بعد تغير الإدارة الأمريكية.

في 26 أيار قابلت كالاهان وكروسلاند في مقر رئاسة الوزراء في لندن لمناقشة كيفية متابعة الدبلوماسية الخاصة بجنوب أفريقية أثناء اجتماعي مع فورستر وفي ما يعقبها. كان الوزراء البريطانيون ما يزالون يرون أنه من الصعب أن قبول أن الولايات المتحدة يمكن أن تنجح في الوقت الذي أخفقت فيه بريطانيا، ويتشككون في قدرتنا على الحصول على تعاون فورستر، كما بدوا مرتاحين بعض الشيء لتوقع طريق مسدود. لم يكن لديهم حماسة كبيرة للمشاركة في مفاوضات تضم سميث أو أن يضطلعوا بالدور الانتقالي الذي تصورناه إذا ما قبل الروديسيون حكم الأغلبية مع هذا فقد كانت بريطانيا وحدها تملك الخبرة والقاعدة القانونية لتوفير ضمانات للأقليات، أو تشكيل حكومة مؤقتة في الفترة الانتقالية قبل أن يتحقق حكم الأكثر فعلاً. شجعت كالاهان على أن يقوم بالدور بنفسه الذي أشار إليه في اقتراحه في 22 آذار وعرضه «إعطاء زخم إضافي ورائي» ولكن كالاهان أجاب ببرودة: «لا أريد أن أفشل، ولكنك تتناول المسألة في الوقت الحاضر وكل من يأتي حديثاً سيكون له نفوذ أكبر».

يعود تردد كالاهان، إلى حد ما، إلى عزوفه عن المخاطرة بما تبقّى من نفوذ بريطاني في مستعمراتها السابقة أو لموقف حزب العمال المتماسك إلى أن يحدث اختراق. كان يسار الحزب تحت قيادة مايكل فوت يعارض إيان سميث وجنوب أفريقية لأسباب أخلاقية. إذا لم يكن يتساهل إزاء مفاوضات فيها أخذ وجذب حول ما يعتقد أنها مسألة أخلاقية ـ ولا سيما إذا كان الموضوع يتعلق بسميث وجنوب أفريقية، كما أنه يكره الضغط على أصدقائه الأفارقة إذ بدونهم ستكون أية محاولة للتفاوض محكوم عليها بالفشل. ولما كان كالاهان محاصراً بين مايكل فوت وإيان سميث فقط طلب مني القيام بجولة مكوكية أخرى على الأقل كجهد أمريكي خالص. مع هذا فقد وافق هو وكروسلاند على إيجاد فريق عمل رفيع المستوى مؤلف من موظفين رسميين بريطانيين وأمريكيين يعقدون اجتماعات دورية ما بين واشنطن ولندن ويُكلفون بجعل السياسة تجاه أفريقية تحت مراجعة دائمة.

عشيــة لقائــي مــع فورستر المقرر فــي 23 حزيران، كانت الأحــداث في جنوب أفريقيــة تهدد أي دور دبلوماســي كبير في ذلك البلــد بالإخفاق، ففي 16 حزيران نشبت أعمال عنف فــي مدينة سويتو الزنجية قرب جوهانسبرغ. كان التوتر يعود إلى عدة شهور خلت بسبب إصرار الحكومة على أن يتعلم الأولاد السود اللغة الأفريكانية وأن يتم التدريس بها. وسرعان ما تحولت أعمال العنف إلى قلاقل مدنية عصفت بحياة أربــع مئــة شخص من بينهم كثير من تلاميذ المدارس. حثني فورد الصامد دوماً على أن نوضح خططنا: «أعتقــد أن هذه في الأحــداث سيكون ذهابك إلى هناك أكثر أهمية. فا نحــاول القيام به هو تجاوز أشياء كهــذه والتغلب عليهــا». صوتنا لصالح قرار شديد اللهجة في مجلس الأمن يدين ممارسات جنوب أفريقية مع انتقاد إغفال الأمم المتحدة لاختراقات حقوق الإنسان في بلدان تحتمي من المراقبة الدولية بتوجهاتها اليسارية. وجاء في كلمة مندوبنا في مجلس الأمن ألبيرت شير في 19 حزيران:

تمثــل جنوب أفريقيــة بسياسة التمييز العنصــري (الأبارثيد) التــي تمارسها خرقــاً فاضحاً لحقوق الإنســان. ولكــن سيكون من الخطأ، بل ومن النفاق إذا لم نقــل إن جنوب أفريقية ليست الحكومة الوحيدة التي تنتهج سياسات متعمدة تفضي إلى انتهاكات فاضحة لحقوق الإنسان [4].

قبــل الذهاب إلى الحوار مع زعماء جنوب أفريقية قابلت سفراء جميع الدول الأفريقية التي لها تمثيل فــي واشنطــن، كما قابلت لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس؛ كلتا المجموعتين صادقت على لقائي مع فورستــر. وفــي 22 حزيران، أي في اليوم الذي يسبق اللقاء المقرر شرحت الموقف لوزراء خارجية فرنسا وبريطانيــا وألمانيــا الاتحادية في بارس. كانــت زاميا قد سمحت لأول مرة بإنشــاء قواعد للفدائيين على أراضيها، كما سمحت لهم أن يتسللوا عبر الحدود الروديسية التي بلغ طولها 600 ميل.

والأهــم من ذلك، أن الحرب إذا استمرت وتطوت فإن وجود معسكرات الفدائيين المسلحين يمكن أن ينسف التوجه المعتدل لكاوندا، بل حتى سلطته مع مرور الوقت. المجموعات الفدائية المختلفة المتنافسة قــد تطلب عندئذ المساعــدة من الخارج كما حدث في أنغولا. وقد عبر حلفاؤنا عن نواياهم الطيبة وأبدوا استعدادهــم للإسهام مالياً من أجــل نفقات إعادة البناء والانتقال للأقليــات الأوروبية إذا ما حدث فعلاً اختراق لحكم الأغلبية.

عندمــا اقترح فورستر أن نجتمع في ألمانيا وافق كل مــن المستشار شميدت ووزير الخارجية غينتشر بحماســة واقترحا مدينة هامبورغ، وهي مدينة شميدت، مكاناً للقاء. وعندما أُعلن عن مظاهرات حاشدة فــي هذا الموقــع للديموقراطيين الأجنبيين، فــزع الزعماء الألمان ونقلوا مكان الاجتمــاع بدون مشاورتنا إلــى منتجع للراحة في بافاريــا المحافظة، لا يبعد عن الحدود التشيكية، عنــد حافة غابة بوهيميا ـ وهي منطقة لا يمكن للمتظاهرين أن يصلوا إليها. كان هذا بمثابة خرق للبروتوكول إذا لم يُعلم الفرقاء مسبقاً بالتغيير، ولكننا وافقنا في النهاية على هذا المنفى.

لـم يكن من الممكن إيجـاد فندقين مناسبين في أي مدينة في منطقة نائيـة. وهكذا كان بين فندقي وفنـدق فورستر 30 ميـلاً. وكان كلا الفندقين محاطاً برجال الشرطة لإبعاد المحتجين، الذين استطاعوا رغم البعد والمشقة الاقتراب منا، وإن لم يرفعوا أصواتهم.

طـار وفدنـا بالحوامة في 23 حزيـران إلى الفندق فـي بودينميس من أجل اللقـاء الأول. ووجدت من المناسب أن يرتاح رئيس الوزراء فورستر ووفده الجنوبي أفريقي.

سجلُ فورستر في حكومة جنوب أفريقية يدل على أنه رجل صلب. ولما كان قد عمل وزيراً للعدل لمدة عشـر سنـوات فقد كان مسؤولاً عن قمـع «المخربين» وهي عبـارة أعطاها تفسيراً واسعـاً. ولكن فورستر أصبح أكثر اعتدالاً ومرونة عندما صار رئيساً للوزراء؛ بالمقارنة مع سابقيه، وصار يعمل على تخفيف بعض مظاهر سياسة التفرقة ويفتح حوارات مع الدول الأفريقية المجاورة.

دعوت فورستر إلى جلسة خاصة، في حين شرع وفدانا باستكشاف بعض القضايا الفنية، ولا سيما ما يتعلق بوضع تعريف لما يمكن أن يشكل أمناً اقتصادياً راسخاً للأقلية الأوروبية في روديسيا.

وفـي جلسة مصغـرة حيث تناولنا الشـاي والحلوى، بدأت ــ كعادتي في جميع المفاوضـات تقريباً ـ بمناقشـة فلسفيـة حول ما كنا نحاول تحقيقـه. قلت أخاطب فورستر بوصفته زعيمـاً مسؤولاً عن مستقبل مجتمعـه الـذي سار مشواراً طويلاً ليجـد نفسه وجهاً لوجه أمام قرار جوهـري. إذا كان فورستر قد حدد مستقبـل بـلاده بمصيـر روديسيا وناميبيـا، فالنتيجة ستكون معقـدة ومتأخرة كثيـراً بالتأكيد. ولكن في النهاية، حكم الأغلبية كان من غير الممكن تجنبه في روديسيا، وقد ضمنت جنوب أفريقية المبدأ من أجل ناميبيا أن العنف سيزداد، وسيكسب المتطرفون الأشراف على النضال المسلح ربما المدعوم من قبل قوى أجنبيـة، حيث ستواجـه جنوب أفريقية أزمة في حين أن السكان الأجانب في روديسيا وناميبيا يطردون أو ينضمون إلى النزاع. ولكن تدويل النزاع سوف يوحد العالم ضد جنوب أفريقيا، وستكون الولايات المتحدة مضطرة إلى تطبيق تقليدها في مساندة الحلول الديموقراطية وتقرير المصير.

مـن ناحيـة أخرى قلت: إن فورستـر يستطيع أن يرسم خطاً مميزاً ما بيـن جيرانه الشماليين وجنوب أفريقيـة قائمـاً على حقيقة أن جنـوب أفريقية كانـت تعتبر حتى في أفريقيـة دولةً أفريقيـة، وليس دولة استعمارية ـ مهما كانت أوضاعها الداخلية. وهذه النقطة أكد عليها كل زعيم أفريقي قابلته. والعمل معنا ودول خـط الجبهة على حـل مشكلات روديسيا وناميبيـا سيعزز موقف جنوب أفريقيـة كمجتمع أفريقي. الفرصـة التي قدمتها إلى فورستر كان مـن شأنها أن تحقق فترة من الراحة والتقاط الأنفاس قد تستطيع بلاده خلالها ـ حل مشكلاتها بسلام، وليس بالهروب منها ـ.

عرضـت هذه الأفكار بأسى أكثر ممـا عرضتها بغضب، وليس كجدل حول ماضي جنوب أفريقية بقدر مـا كانت خيـاراً للمستقبل. ولم يفت فورستـر ذو الذكاء اللماح أنني كنت عمليـة ربما لا تتوقف عند حدو

جنـوب أفريقية. مما لا شك فيه أنه كان يأمل بـأن الوقت الذي يكسبه سيسمح بطريقة ما بمخرج لجنوب أفريقية يختلف عن حكم أكثرية غير مخفف أو ربما بظهور نوع من الحزام الصحي عند حدوده الشمالية. ولكنه لو فعل فسيكون ذلك أمراً مرغوباً.

افتتـح فورستر إجابته بشرح لما فهمه هو ورفاقه بالحكم الذاتي لجنوب أفريقية: سلسلة من الأوطان الزنجيـة التي تحكم ذاتها متحدة مع أوطان بيضاء ستكـون هي المسيطرة بشكل واضح. قلت: إن سياسة التفرقـة العنصرية (الأبارثيد) لن تكون مقبولة أبداً في الولايات المتحدة، كما لن نعتبر ما يسمى أوطاناً سـوداء. ولكـن إذا كسبنـا الوقت الآن فسوف يؤدي ذلـك إلى حوار مستمر. نستطيع خلالـه أن نسعى إلى نتيجة مقبولة لدى جميع الأطراف.

كان توجـه فورستر الداخلـي أن الأفريكان الذين واجهوا قوة عظمـى عاملتهم بشيء من الاعتبار. لم يُسيّروا أمورهم كما كانوا مضطرين أن يفعلوا في غالب الأحيان في تاريخهم العسير. سوف يؤيد جهودنا ـ مفترضاً أن لن يُطلب منه أن يتخلى عن سكان روديسيا الأوروبيين بدون أية حقوق ـ لإرساء حكم الأكثرية فـي روديسيـا. ووافق على أن إيجاد مخـرج معتدل في روديسيا كان ممكناً لـو أن الكفاح المسلح قد توقف فـي مرحلـة مبكرة. وجوشوا نكومو، فـي رأيه، الزعيم الأنسب من أجل تطور معتـدل، لأنه كان يمثل قبيلة أقلية لها مصلحة في ضمانات جميع الأقليات، بما في ذلك الأقلية الأوروبية. وأضاف فورستر أن مثل هذه الضمانـات كانت ضرورية لإرضاء الرأي العام في جنوب أفريقية. وتحدّث فورستر أن ثمة فرصة لتحقيق مثل هذه الغاية في غضون سنة على الأكثر. قلت له: إننا سنؤيد ضمانات للأقليات، ولكن من السابق لأوانه جعل النتيجة تعتمد على فرد لا نعرف عنه نحن في الولايات المتحدة إلا القليل جداً.

عنـد هذه النطقة التحقت أنا وفورستر بسائـر الوفود من أجل طعام الغداء. طلب مني السماح له بأن يصلـي صـلاة صامتة من أجل نجاح مـا كنا نحاول أن ننجـزه كلٌ على طريقته. وعند هـذا ترك فورستر الكلام لمستشاره العسكري.

وصـف الجنـرال جوهانـز فان دين بيـرغ الوضع العسكـري. إذا كان ثمـة تفكير بحـل عسكري، كما قـال، يمكن لروديسيـا أن تصمد لبعض الوقت. الخسائر الروديسيـة منخفضة ومقتصرة في الغالب على الميليشيـات السـوداء. القوات المسلحة الروديسية قادرة على الدفاع عن البلاد ما لم تتدخل قوات قادمة مـن وراء البحار. وفي رأي الوفد الجنوبـي أفريقي أن رجال حرب العصابات كانوا يخسرون التأييد لأنهم كانوا يركزون هجماتهم على السكان المدنيين. كان هذا صحيحاً جزئياً، كما كان خدعة تفاوضية لإضعاف القناعة الأمريكية بأن الأزمة ملحة. أجبت بأن التحليل لم يكن مناسباً عملياً:

إذا تركنا جانباً القضية الأخلاقية فإن مثل الجزائر ـ حيث كان الفرنسيون موجودين منذ فترة طويلة ـ يدل علـى أن رجال العصابات بدؤوا بمهاجمـة السكان المحليين في البدايـة إذ كانوا غاضبين، ثم لم

يلبثوا أن أصبحوا خائفين. كان على الحكومة أن تعزز الإجراءات. إذا قاموا بأعمال انتقامية فسيخسرون موقفهم الدولي، وإذا لم يقوموا بذلك فسيخسرون الحرب.

لم يناقش الجنرال فان دين بيرغ المسألة.

في اليوم التالي التقى الوفدان في فندقنا في غرافينو وركزا على موضوع ناميبيا. وكما جرى سابقاً فقد اجتمعت مع فورستر وحدنا في جناحي، في حين درس زملائي خطة ضمان لروديسيا. استخدمت أساساً الحجج ذاتها التي كنت قد طرحتها على فورستر بشأن روديسيا. الأسرة الدولية لن تقبل أبداً الاعتراف بحكومة تصدر عن مؤتمر ديندهوك كما جرى، وإن ذلك كما يعني أن جنوب أفريقية لن تستطيع أن تكون قادرة على تحقيق هدفها بالتخلي عن إشراف مباشر على ناميبيا بهذا الأسلوب.

مهما كانت وجهات نظر جنوب أفريقية تجاه منظمة «سوابو» وأساليبها، فإن تاريخ النضال من أجل الاستقلال مفعم بشواهد على أن إرهابيي اليوم سيكونون زعماء الغد الوطنيين. ولما كان الموضوع برمته قد أثير من خلال سلسلة من القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة فإن مشاركتها كانت ضرورية.

من أجل كسر الجمود، اقترحت ثلاثة خطوات: أن ينتقل مؤتمر ويندهوك إلى سويسرة جنيف وأن يُدعى الأمين العام للأمم المتحدة مراقباً (للتأكيد على الاتصال الذي لا ينفصم عن الأمم المتحدة) وأن يدعو المؤتمر منظمة «سوابو» مشاركاً.

على فورستر أن يفهم أنني كنت أقترح عملية لإنقاذ ماء الوجه، تصبح «سوابو» في نهايتها الناطق الرئيس باسم استقلا ناميبيا. كان ذلك بسبب فرق حاسم ما بين الصراعات المسلحة المعادية للاستعمار والمبادئ الأساسية لليبرالية الغربية. إذا كانت إرادة الأغلبية هي المسألة المبدئية، وستكون الخلافات حول إجراءات الانتخاب، وستبقى القوات المسلحة على الحياد، والأحكام الدستورية ستقرر طبيعة التنافس الانتخابي. وخلافاً لذلك كان إشراف القوات المسلحة، في معظم الدول الأفريقية التي ظهرت بعد نضال مسلح، هو الذي يقرر نتيجة الانتخابات. قد يكون نكومو الزعيم المعروف والأكثر اعتدالاً داخل روديسيا ــ نظراً لأن كلاً من كاوندا وفورستر نادراً ما كانا يتوافقان ـ ولكنه لم يكن يملك قوات مسلحة كي ينافس رجال حرب العصابات المتجمعين في الدول المجاورة. ومهما بلغت قوته التي ستظهر في الانتخابات، فإن نتائجها ستتقرر من خلال النتيجة العسكرية.

الشيء نفسه ينطبق على ناميبيا. قد يكون صحيحاً ما قاله الأفارقة من أن أتباع «سوابو» خارج منطقة أوفامبو كانوا قلة. ولكن إذا كان هدف شعار «حكم الأكثرية» هو إنهاء الكفاح المسلح، عندئذ سيثبت «الأولاد حملة البنادق» أنهم قادرون، ولو أنهم كانوا المجموعة الوحيدة القادرة على إنهاء الحرب. فسيعيقون تشكيل حكومة انتقالية، ويضعون القواعد الانتخابية ويكسبون الانتخابات. لهذا السبب كان

حكـم الأكثرية هو العبارة الملطفة لاستلام السلطـة من قبل المجموعة التي قادت النضال المسلح. فهم، بعد كل شيء، عانوا وضحوا لكسب السلطة وليس من أجل أن يُستغنى عنهم.

الاجتماعات رفيعة المستوى ليست المناسبة لانعكاسات النظرية السياسية. وهذا الاجتماع الأول بين جنوب أفريقية والزعماء الأمريكيين كان منشغلاً تماماً بإيجاد طريقة عملية بعيدة عن صعوبات روديسيا وناميبيا. قمت بتقويم التعاون الذي أظهرته روديسيا في 24 حزيران كما يلي:

كيسنجـر: راجعنا أنا ورئيس الـوزراء ـ إذا ما حاولت أن أقيّم مناقشتنا ـ الوضع بشأن روديسيا، وفقاً للخطوط العريضة لمناقشتنا بالأمس وعلى الغداء أيضاً. وكان حول ما إذا كنا نستطيع أن نضع معاً اتفاقية قـد يعتبرهـا العقلاء عادلة ومشرفة بالنسبة إلـى الآمال الاقتصادية للأقلية البيضـاء في روديسيا، وإذا استطعنا ذلك، فإن رئيس الوزراء سيكون مستعداً لاستخدام نفوذه لدى الحكومة الروديسية لاستطلاع ما يمكـن تحقيقه. سوف نعمل مع الحكومات الأفريقية الزنجيـة. كما سنرى ما إذا كان من الممكن أن نعقد مؤتمراً دولياً للنظر في مسألة الضمانات التي تستطيع حكومة جنوب أفريقية أن تسهم فيها، في المرحلة التمهيدية على الأقل. هنا تقع المسألة الروديسية.

فورستر: هذا صحيح.

فـي ناميبيا كنت أكثر حذراً. لخصت الهدف مـن أجل عقد المؤتمر خارج ويندهوك، وتركت مسألة المشاركة في المؤتمر مفتوحة، وهو ما كان خطوة لانضمام «سوابو» إليه:

كيسنجـر: فـي جنوب غرب أفريقية (التعبير الأفريقي عن ناميبيـا) اقترحت على رئيس الوزراء أن ينتقل المؤتمر الدستوري إلى مكان آخر بعيداً عن ويندهوك.

المشاركـون سيقررون فيما بعد، ولكن المكان يجـب أن يتغير. انطباعي أن هذا الاقتراح لن يرفضه رئيس الوزراء.

فورستر: أجل.

أضاف فورستر أن سيوافق على مشاركة ممثل شخصي عن الأمين العام للأمم المتحدة وأن المؤتمر سيقـرر تكوينـه بحيث يمكن دعوة منظمـة «سوابو». ومع أنني كنت مقتنعـاً تماماً، كما يحدث فـي الظروف المشابهـة، أن رجال حرب الغوار سيصرون علـى أن يُعتبروا المفاوض الشرعي الوحيد فقد قطعنا شوطاً بعيداً.

بريطانيا العظمى ودول خط المواجهة:

مـن بيـن جميع المفاوضات التـي أجريتها كانت أعقدهـا المفاوضات حول حكـم الأكثرية في جنوب أفريقيـة. حيـث كانت هنـاك خمس دول على خط المواجهـة، كل واحدة لها ما تؤكـد عليه؛ والمجموعات

الداخليــة تتصــارع فيما بينها فــي روديسيا وناميبيــا، حكومة جنــوب أفريقية، والسلطات فــي روديسيا، والموقــف الخاص لبريطانيا العظمى. كانت أهدافهــا متشابكة، ومتعاكسة أحيانــاً. وأي تغيير في موقف فريــق مــا قد يثير زوبعة في النظام الكامــل برمته ويهدد بالإطاحة بما تم بناؤه بكثيــر من الألم. وقبل أن تتقدم المواقف الرسمية، كان من الضروري استطلاع أرضية جميع الفرقاء، وحتى في هذه الحالة، ينبغي أن يكــون المــرء حذراً بحيث لا يناقش أبداً موقف أحد الأطراف قبــل أن يسجل مواقف الآخرين ـ ولو إلى حد ما ـ لكيلا تضيع التنازلات وتولد جولة جديدة من المطالب.

تقدمنــا في خطوتيــن: دول خط الجبهة رحبت بمادرتنــا وقدمت عدة مستويات مــن التأييد، وجنوب أفريقيــة سوف تتعاون بشــأن روديسيا إذا كنا قادريــن على توفير رزمة من الضمانــات للأقلية البيضاء، وفــي ناميبيــا، إذا تم إيجاد طريقة لحفــظ ماء الوجه للأفريقيين الجنوبييــن. ولكن من أجل ترجمة هذه الالتزامات العامة إلى تقدم دائم كانت مساعدة بريطانيا وتأييدها ضروريتين.

إذا وافــق إيان سميث أن يسحب إعلانه المنفرد عــام 1965 حول الاستقلال وقبل بحكم الأغلبية فلن تكــون هناك سلطــة شرعية في روديسيا إطلاقاً ما لم توافق بريطانيا علــى العودة، ولو بدون رغبة، لفترة مؤقتــة إلــى دور السلطــة الحاكمة، إلى أن يتــم تحضير دستور جديــد. ولكن بريطانيا لا يمكــن أن توافق أبــداً علــى هذه المهمة إلا إذا طلبت ذلك دول خــط الجبهة السوداء. لذا فقد وقــع علينا الشروع بالمهمة المزدوجــة التّهكمية بحــثّ بريطانيا الرافضة علــى الاستئناف، ولو لفترة محــددة، للغطاء الإمبراطوري الذي مارسته لفترة ثلاثة عقود.

عدت إلى لندن بعد اجتماعاتي في فورستر لاستشارة كالاهان في 25 حزيران. كان مقر رئاسة الوزراء فــي 10 داونينغ ستريــت. بممراته الضيقــة ودرجات سُلّمه الضيقــة يمارس تأثيره من خــلال الإجراءات المكتومــة. فــي طريقي إلى مقــر رئيس الوزراء في الطابــق الثاني التقيت بجون هانــت، أمين سر مجلس الوزراء، تحدثنا عن المجموعة «غير الرسمية» حول الاقتصاد العالمي الذي كان يمثلنا فيها جورج سولتز (أنظــر فصل 22) وعن اجتماع القمة الاقتصادية للدول السبع الكبيرة G-7 في بورتوريكو، وسمعنا فجأة صوت رئيس الوزراء يصبح مرحباً: «أنا أسمع ذلك الصوت».

فــي غرفــة الجلوس في 10 داونينغ ستريت أثّــرت الموضوعات الثلاثة التي كان الــدور البريطاني في المشاركــة بها ضرورياً: (1) تطور سريع نحو حكم الأغلبية (2) المساعدة في إعطاء ضمانات إلى الأقلية البيضــاء (3) استئنــاف الإدارة الكولونياليــة لتشجيع نظام الحكم التالي على الظهــور تحت إشراف كينيا المعتدلة بدلاً من موزامبيق الراديكالية (وهو طلب سافر في ضوء التطورات منذ ذلك الحين).

كان كالاهــان مقتدراً ومتعاطفاً. أكد أن بريطانيا كانت راغبة في تحمل المسؤولية في الفترة الانتقالية، ولكنه كان «عازفاً أن يُجرَّ إلى هذا عسكرياً والاستمرار في المحافظة على القانون والنظام.. هل سنضع قوات بريطانيا؟

وإذا كان الأمـر كذلـك فكيف ستخرج؟» . ولما كان رجـلاً عملياً كعادته فقد وضع إصبعه علـى النقطة المركزية: طبيعة السلطة الروديسية الحاكمة. كان نكومو أفضل ضمانة من أجل تطور معتدل، ولكن لا يملك قوة عسكرية:

المشكلة هي كيف نتعامل مع الأفارقة الآخرين فيما يتعلق بنكومو؟

إن شخصية أبوية وشبيه بكينياتا، ولكنه خسر قواعده مؤخراً..

.. إذاً كيف سنتعامل مع رجال حرب العصابات على الحدود،

إذا لم يقبلوا بنكومو؟ من الذي سيبقي نكومو في السلطة؟

هذا هو السؤال.

توافقنـا علـى أن آفاق نكومو أو أي قائد آخر معتدل داخل روديسيـا سوف تتعزز إذا ما أوقفت الحرب بسرعة وحرم رجال العصابات من قاعدة لهم داخل زامبيا.

من أجل تقويم هذه الآفاق عرضت إرسال وليام شوفيل، مساعد وزير الخارجية إلى أفريقية لمناقشة خططنا مـع كاونـدا ونيريري. وفي الوقت نفسـه سيطلب من روديسيا رسمياً وضع قوة بريطانيـة ـ أمريكية مشتركة وقد قبلت دول خط الجبهة وفورستر. انتهى الاجتماع بمذكّرة حارة، مع شيء من القلق وكلنها أكدت بعد النظر:

كالاهـان: أعتقد أنك يجـب أن تخبر نيريري وكاونـد أن: «أليس هذا هو الوقـت المناسب لممارسة الضغط على البريطانيين للقيام بعمل كهذا؟».

كيسنجر: سنرحب بذلك إذا قلت لنا ما تقوله لهما. ونحن سنخبرك.

كالاهان: من الطبيعي أن تنشر بين الناس أن «الموقف دقيق وأنك ينبغي أن تطلب تحرك البريطانيين».

كيسنجر: أعتقد أن هذه فكرة جيدة.

كالاهان: أخبرنا كيف ستسود أسماءنا بحيث نستطيع الدفاع عن أنفسنا.. (ضحك).

كيسنجر: ... في النهاية تستطيع القول: إن الأمريكيين العاجزين

كان لا بد أن ينقذهم البريطانيون بعد أن أخفقنا (ضحك).

بعد أن انتهى المزاح كشف إعلان رسمي عن رغبة بريطانيا في المشاركة بالدبلوماسية الروديسية:

قدم وزير الخارجية إلى رئيس الوزراء تقريراً عن مباحثاته مع رئيس الوزراء فورستر.

عبّر الوزير عن وجهة نظر تفيد أن لبريطانيا دوراً تضطلع به في جنوب أفريقية، ولاسيما في المساعدة على إيجاد حل للمشكلة الروديسية.

أشار رئيس الوزراء على الوزير أن بريطانيا توافق

على مسؤوليتها الكاملة بهذا الشأن [5].

obeikandi.com

مخرج آخر إلى أفريقية

غـادر شوفيـل للقيـام بمهمته في 5 تموز. ومن أجـل أن يحصل على حافز فعّال مـن أجل المرونة من جانـب نيريـري وكاوندا، أشـرت عليه أن يصف تعاون جنـوب أفريقية غير مضمون إلـى حد ما مما كنت أعتقد، في 13 تموز تحدثت إلى سفير جنوب أفريقية بيك بوتا بذات المعنى:

لم أخبر أحداً أنني حصلت على موافقة جنوب أفريقية
تجاه أي شيء. أقول: «إذا كنت أستطيع الحصول على
تأييدكم، فسوف أحاول ذلك. إذا حصلت على موافقة
جنوب أفريقية فهل تؤيدونها؟».

إذا وافـق رؤسـاء خط الجبهة علـى استراتيجيتنا، بما في ذلـك الدور المرحلـي لبريطانيا كان على شوفيل أن يتعهد بنيتنا القيام بجهد كبير لإغراء جنوب أفريقية بمساعدة قيام حكم الأغلبية في روديسيا والاستقلال لناميبيا (وعد مضمون بعد لقاء فورستر).

كان الوعد الأخير ـ الذي على وشك أن يتضح، ويزداد تحقيقه صعوبة لأن الزعماء البريطانيين كانوا يطرحـون أفكاراً أخرى. وقد بيّن لقاء مع طونـي كروسلاند في واشنطن في 8 تموز، أن اتفاقاً حول نتيجة مرغوبة لا يضمن اتفاقاً حول التكتيك. فالبريطانيون لا يثقون بفورستر وكانوا أقل اقتناعاً منا بأنه سينفذ مـا وعـد به. كما أنهم لم يكونوا يستلطفون إيان سميث، معتقدين أنه خدعهم وأحرجهم، بإعلانه أولاً عن الاستقـلال ثـم خلال عدد من المفاوضات التي تسبب المآزق. ولمـا كان لا يريد التعامل مع سميث رئيساً أو حتـى كونـه عضواً في حكومة مؤقتة، أمضـى كروسلاند مزيداً من الوقت فـي مناقشة خطط للإطاحة بسميث أكثر مما أمضى في المفاوضات الدبلوماسية الجارية.

اعترضـت. عندمـا لم أقابل سميث من قبـل أو أي زعيم روديسي آخر، إذ لم يكـن لدي أفكار مسبقة عنهـم. إذا نجحـت سياستنا فإن سميث وزملاءه سوف يُستبدلون بحكـم الأكثرية. من هنا لم أجد حكمة في تبديد الطاقات في انتقادهم أو إذلالهم، أو أن نخاطر بفراغ سياسي بنتائج غير متوقعة ـ من بين هذه النتائج احتمال الإطاحة بهذه المبادرة برمتها. قلت لكروسلاند:

سميـث عقبـة، ولكنه أيضاً ورقـة مساومة. إذا فكر (زعمـاء الصف الأول بصعوبـة إزاحته، فسيكون لديهم دافع للموافقة. وإذا ما استبدل بشخص لا قبل له بالقتال، فقد يقررون أن تستمر الحرب.

أثناء مسيرة العملية ظهرت شكوك، ربما لا تستحق الذكر، ضمن المجموعة الأمريكية من ضمنها أن لنـدن ربمـا كانت تسعى إلى مناورة مع الولايات المتحـدة بتصويرها أنها تقف إلى جانب حكم البيض في حيـن أن بريطانيـا قد ألزمت نفسها بأن تكـون ناطقاً رئيسياً باسم أفريقية السـوداء ـ توزيع للمسؤوليات

أخبرت كروسلاند أننا لا نقبل به. كما أن ممثل الخزانة في مجموعتنا العاملة كان مستاء بدوره من جواب كروسلاند حول مقدار ما ستأسهم به بريطانيا في صندوق الضمان.

كانت الخلافات الظرفية تعكس ظروفاً داخلية مختلفة: الضغوط على كالاهان جاءت من اليسار، أما الضغوط على فورد وعليّ فقد جاءت من اليمين. وقد ظهر الاختلاف في هذا الحوار:

كيسنجر: سيكون من الأسهل بالنسبة إلينا داخلياً التعامل مع سميث.

كروسلاند: سيكون من الأسهل لنا الطريق الآخر.

عندما حذرت كروسلاند انقلاباً ضد سميث وأنه سوف يشوش كل شيء في منتصف المفاوضات، ولا سيما داخل روديسيا، أجابني كروسلاند: «ظهور انقلاب سيكون له فوائد جمّة في بريطانيا ـ ولسوف يغير الجو السياسي» .

المسألة المعنية الأعمق هي من سيتحمل المسؤولية عن المفاوضات. كنا نفضل مشاركة بريطانيا منذ البداية، ومن أجل إعطاء المفاوضات إثارة للاهتمام ألحّينا على لندن أن تقدم اقتراحاً من أجل حكومة انتقالية. ولكن كالاهان وكروسلاند لم يكونا في عجلة من أمرهما. لقد كان من الصعب دوماً أن تقبل أن دولة أخرى يمكن أن تنجح حيثما تفشل أخرى ـ حتى لو حدث الفشل بسبب تطور تاريخي كان قد حدث قبل الحكومة البريطانية الحالية بوقت طويل. ولكن هذا كان على وجه الدقة موقف بريطانيا من روديسيا. لما كانت الولايات المتحدة قد صممت الاستراتيجية وقوتها ضرورية من أجل التفاوض الفعلي، كان كالاهان عازفاً عن دفع الثمن السياسي لافي الداخل ولا في أفريقية. فبالنسبة للحكم الانتقالي كان كالاهان يخشى أن تضطر بريطانيا كارهة إلى العودة إلى دورها الاستعماري، وأن تعزل إذا رفض رجال حرب العصابات وقف القتال. ولما كان كالاهان أقل ثقة من أننا سنكون قادرين على تحرير فورستر وسميث، عمد كالاهان وكروسلاند إلى التدقيق في كل حرف وخطوة قبل التحرك إلى الأمام ـ إجراء يدل على استنزاف الوقت. وكنت أعتقد، على العكس، أن السرعة هي جوهر المسألة كيلا تدمر حرب العصابات إمكانية المفاوضات.

رغم هذه الخلافات في الأولويات فإن التعاون الأمريكي – البريطاني كان يمثل ازدهاراً كاملاً متأخراً للعلاقة الخاصة. كانت خلافاتنا أقرب إلى المجادلات بين أفراد ذوي تفكير عميق ضمن شركة عامة منها إلى نزاعات بين كيانات مستقلة مع ما يستتبعها من ضغوط ومبادرات.

تعقيدات أفريقية:

في جولتي الأولى عبر أفريقية في شهر نيسان، إذ كان جميع زعماء الصف الأول تواقين كثيراً إلى جذب الضغط الأمريكي إلى جانبهم حتى يتجاوزوا العوائق. وعندما يواجهون العواقب العملية، سواء

نجحت استرتيجيتنا أم لا، كانوا يواجهون المخاطر ويحتاجون إلى حماية مواقفهم ومصالح بلادهم. وهذا ما جعل مقارباتهم المختلفة تظهر للعيان.

لم يكتسب نيريري لقب «أستاذ» عبثاً. كان يرى نفسه فيلسوف حركة استقلال أفريقية ـ لاسيما في جنوب أفريقية. ولما كانت تانزانيا أو ناميبيا ليس لهما حدود مشتركة مع روديسيا أو ناميبيا، كان نيريري أقل اهتماماً بالتنفيذ الفعلي لحكم الأكثرية من تأثير ذلك بالنسبة إلى سائر أفريقية. وطالما كان يحاول إغراء أمريكا بالتورط في دبلوماسية جنوب أفريقية. لم يجد من الحصانة السير قُدماً مع مثل هذه الاهتمامات الأمريكية مثل حماية حقوق الأقليات البيضاء. ولكن مع دبلوماسية تهتم الآن بأمور معينة وجد نيرير نفسه مضطراً إلى تقويم النتيجة بالنسبة إلى نفوذه على من كان يسميهم «أولاداً يحملون البنادق»، وعلاقته مع الراديكالي سامورا ماتشيل في موزامبيق، جاره. ما إن يتم الموافقة على حكم الأكثرية فإن نيريري لم يكن في عجلة كي يراه متحققاً، لأنه كان متيقناً أن تأخيره قد يعزز آفاق المقاتلين المتطرفين الذين كان يعتبرهم حلفاءه الطبيعيين.

يصح العكس على كاوندا. فزامبيا تتشارك بحدود طويلة مع روديسيا، ومعظم صادراتها تمر عبر تلك البلاد، وكانت روديسيا زبوناً مهماً لمنتجات زامبيا. وكان كاوندا يرغب بحكم الأكثرية في روديسيا بسرعة كوسيلة لاستقرار بلاده. وكان يخشى من أن الحرب الأهلية الطويلة في روديسيا يمكن أن تُمكن الغادرين من اقتحام الأراضي الزامبية وزعزعة سلطته، ولربما زعزعة استقلال زامبيا. وكان يفضل أن يحكم روديسيا (التي أصبحت تُدعى بعد الاستقلال بزامبابوي) نكومو وحكومة مدينة موسعة. كذلك أراد كاوندا أن يبقى الأوروبيون لأن اقتصاداً روديسياً قوياً من شأنه أن يساعد صادرات زامبيا ولأن البيض من شأنهم أن يساعدوا نكومو أو عناصر معتدلة أخرى.

في حقيقة الأمر أن كل واحد منهما كان له اعتراض على الآخر، ولكن أياً منهما لم يلجأ إلى شرخ مكشوف. كان كاوندا أقل عقائدية، ومع هذا فقد أراد أن يبقى على وفاق مع المعسكر الراديكالي. أما نيريري فكان يعتقد أنه من الأفضل أن يكون مع المعسكر الراديكالي وحريصاً على أن يبقى بعيداً عن الغرب. قمت بتقويم زعماء الصف الأول لكروسلاند في 4 أيلول:

أولاً، لديّ انطباع ربما يكون خاطئاً أنهم أقل فزعاً من ألا نسلم سميث من أن نسلمه.

ثانياً، هؤلاء الزعماء ـ باستثناء مارشال ثانية ـ غير متأكدين مما يمكن أن يعرضوا. نيريري وكاوندا، إذا كانا وحدهما، يتجاوبان بشكل حسن مع الخطة التي لدينا، ويرغبان في اتخاذ مخاطرتين ـ ألّا يوافق سميث، أو يوافق وسوف يُتّهمان من قبل مارشال ببيع الآخرين.

لذا فهما ممزقان ما بين الخوف من الفشل والخوف من النجاح.

مـع سير كاونـدا ونيريري باتجاهيـن متعاكسين فإن إدارتنـا للمفاوضات تصبـح مرهقة للأعصاب أحياناً. لقد جال المبعوثون الأمريكيون والبريطانيون عبر أفريقية كي يقرروا آفاق التسوية. بعث السكرتير المساعد شوفيل تقريراً إلى زعماء خط الجبهة حول الاجتماع مع فورستر.

اجتمع بكاوندا في 8 تموز، ثم اجتمع به ثانية في 10 تموز، والتقى نيرير في 11 تموز، وافق كاوندا على المفهـوم العام لبرنامجنا (حكم أكثرية، وحكومة انتقالية لمدة سنتين، وضمانات للأقلية) وأشار إلى أنه سيكـون راغباً (فـي أن يضحي برقبته) إذا ما غـاب كل من فورستر وسميـث. وكان كاوندا، الذي يخشى رجال حرب العصابات وطموحات نكومو، يعتبر الفترة الانتقالية لمدة سنتين طويلة جداً.

كان نيريـري يمتـدح اللقاء مع فورستر ولكنه استخدام المناسبـة للتعبير عن تحفظ عملي كان يحدد ماهية الصراع بالنسبة للأفارقة. إذا كانت الحكومة الانتقالية مدعومة من قبل «القاتلين من أجل الحرية» فإن الأمور ستتطور بيسر. ولكن إذا جرت محاولة لإيجاد حكومة بديلة ما ـ من الواضح أنها تتضمن نكومو ـــ فـإن «الأولاد حملة البنـادق» يمكن أن يقرروا الاستمرار فـي القتال. ومع هذا فقـد حدثنا نيريري على «الاندفاع»:

«إذا ظهر أن الممكن تحقيق أهداف بشروط معقودة، ينبغي على (سوابو) ألا تضع شروطاً تهدف إلى مزيد من تعزيز ذاتها أكثر مما ترمي إلى تحقيق استقلال ناميبيا».

ولكـن بعـد عشـرة أيام، في 22 تمـوز، عرض نيريـري أفكاراً أخـرى إذ رفض في حديـث مع السفير الأمريكي، جيمس سبين، الدور المرحلي لبريطانيا في روديسيا لأن بريطانيا، كما قال، تفتقر إلى السلطة لفرض آرائهـا على فرقاء معارضين. وقـال: إنه من الأفضل، ربما يسبب معارضـة ماتشيل ورجال حرب العصابات من أن ندع روديسيا بمفردها إلى أن يتوفر مزيد من الضغط العسكري.

وخلُـص نيريري إلى أنه سيبقى على اتصال معنا مـع تطور الموقف. هل كان يحاول تجنب المسؤولية عـن النتيجـة قبل الحدث على الأقل؟ أم أنـه كان يحذرنا؟ هل كان يسعى إلـى تحسين الموقف الأفريقي التفاوضـي بالتظاهـر بثقة كبيرة بالنتيجة العسكرية، أم أنه تخلى عـن وساطة أمريكية بالكامل؟ محاولة التخلـي عن المفاوضات عند هـذه النقطة كانت غالبة. كانت جهودنا في الولايـات المتحدة منقسمة إلى حـد بعيد؛ فالجمهوريون برمتهم سيشعرون بالارتيـاح إذا ما توقفت جهودنا، أما دول المواجهة فإنها، في الوقت الذي كانت تحضّنا فيه على السير قُدُماً، كانت غير قادرة على إظهار موقف مشترك. لم نكن نفتقر إلى أعذار لإنهاء العملية.

ولكننـا كنـا مقتنعين أيضـاً أننا إذا توقفنا الآن فقـد نُفجّر الأحداث التي يُحتمل كثيـراً أن تخرج عن نطـاق السيطـرة. ورغم كل ذلك كنت أظن، رغم المظاهر المعاكسـة، أننا كنا قريبين بتردد من النجاح. كانـت الاستراتيجية الأصلية أن نتوصل إلـى موقف مشترك مع دول خط الجبهة، ونحمله إلى فورستر، ثم

نفرضـه على سميث. ولكن مراوغات نيريري (التي استمرت حتى شهر آب) أقنعتني أننا لن نكون قادرين أبـداً علـى التوصل إلى برنامج قابل للتنفيذ من جانب دول خـط المواجهة. فالمنافسات، والتضارب تجاه دور بريطانيـا الدستوري، والمعارضـة السيكولوجية لمنح الاستعماريين تعويضـاً لإنهاء الاستعمار جعلت من الصعب التوصل إلى اقتراح شامل خلال مداولاتهم. لذا قررت أن أعكس النهج فسأحاول التوصل إلى وضع اقتراح مفصل مع كالاهان، والحصول على موافقة فورستر، وتوضيح مبادئه مع زعماء خط الجبهة، وإقناع سميث بمساعدة فورستر، ثم العودة إلى زعماء الجبهة للحصول على موافقتهم النهائية.

كان سيناريـو معقـداً يعتمد بشكل حاسم علـى تقسيمنا له على مراحل حتى يظهـر الاختراق النهائي كموافقـة مـن جانب سميث على الشـروط التي اقترحته بريطانيـا والولايات المتحـدة، والتي دُعيت دول خـط المواجهـة إلى الاستجابة لها، وليس كتنازلات أفريقية لسميث. ما كان لهذا السيناريو أن يظهر حتى يتـم إنجـاز المناقشات البريطانية ـ الأمريكية. في الخامس من شهـر آب، وبعد إفطار طويل مع كالاهان وكروسلانـد فـي 10 داونينغ ستريـت (*)، وضعنا اللمسـات النهائية على البرنامـج الاقتصادي المشترك لروديسيا. وبعد أن وُضع في صيغته النهائية كان على فريق أمريكي يرأسه نائب وزير الخارجية الأمريكية وليـام روجـرز، وفريق بريطانـي منفصل يرأسه إدوارد (تيـد) رولاندز والسير أنطونـي داف التوجه إلى أفريقية لعرضه على رؤساء دول خط المواجهة. ولما كان لدى كل فريق نقاط يتحدث عنها ـ تعليمات غير رسمية بما ينبغي طرحه أولاً ـ فقد اتفق الفرقاء مقدماً ووافق الطرفان على ألا يتجاوزا هذه التعليمات.

أثنـاء الإفطـار علمت لأول مرة أن كالاهـان اتخذ قراراً بألّا تستأنف بريطانيـا دورها الاستعماري ولو بصـورة مؤقتـة. وهذا ما كان سيعيد الساعة إلى الوراء، عشر سنـوات كما قال، وبموجب الدستور سيكون الحاكم البريطاني مسؤولاً عن الأمن، وبهذا فإن القوات البريطانية ستخاطر بأن تجد نفسها متورطة في حرب عصابات. بدلاً من ذلك ستعمل بريطانيا على وضع خطة لحكومة انتقالية تجسد المؤسسات لتنفيذ الوظائف نفسها بالدرجة الأولى التي يضطلع بها الحاكم الاستعماري، ولكن بدون تسمية. سيكون كالاهان مستعـداً لإرسـال موظف مدني بريطاني رفيع المستـوى للقيام بدور استشاري. كنـت أعتقد أن المعالجة الأمريكية أكثر بساطة (وهي قد نُفذت فيما بعد في الواقع من جانب رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر).

تأخر انطلاق البعثة إلى ما بعد المؤتمر الجمهوري الذي كان من المقرر عقده في 16 آب. وفي التاريخ نفسه كان ثمة مؤتمر آخر لحركة عدم الانحياز في سري لافكا يضم زعماء خط الجبهة، الذي لم يكن من المتوقـع، تحـت تأثير البيانات الحماسية للعالم الثالث، أن يعودوا مـن المؤتمر من أجل صيغة تصالحية. وطيلـة هـذه الفترة كان فورد منهمكاً فـي المحافظة على هامشه الضيق في اختيـار الرئيس ضد تحدي رونالد ريغان الذي كان يضاعف جهوده لإسقاط الرئيس المنصّب في مؤتمر الجمهوريين.

(*) مقر رئيس مجلس الوزراء في لندن – المترجم.

كنــت أتصل بفورد يومياً، إمــا شخصياً، وإما عبر تقارير مطولــة إذا كان أحدنا مسافراً. في 13 آب، عشيــة المؤتمر، حــذرت الرئيس أنه إذا أُعطيت نصــف فرصة فإن البريطانيين سيعمــدون إلى الإطاحة بسميث وترك الباقين ليهتموا بشأنهم. هذا من شأنه أن يؤدي إلى تناظر دقيق بالنسبة إلى أنغولا مع سائر الفصائــل الأفريقية المختلفة التنافسية على السيطرة فيما القــوى الخارجية تختار الجانب الذي تريده. سأل فورد عن الضمانات للأقليات البيضاء، وأكد على أنهم كانوا جزءاً من خطتنا: «تلك كانت خطتنا من قبل، وأعتقد أن علينا أن نلتزم بها».

جابهــت البعثة التــي يترأسها نائب الوزير روجرز في أواخر آب، والتــي عرضت البرنامج الاقتصادي لروديسيــا علــى دول خط الجبهــة، الانقسامات ذاتها التي واجههــا شونيل قبل أسابيع قليلــة. أكد كاوندا ونيريري على حكم الأكثرية، وكانا متشككين تجاه دور جنوب أفريقية، حيث لا توجد طريقة أفضل لتحقيق تقدم، وشجعانا على التقدم مع التعبير عن شكوكهم تجاه قدرتنا على الفوز.

كانت هناك أيضاً بعض البيانات أو الأنباء السارة التي كنا نستطيع تفسيرها على أن تعبير عن تأييدنا، وفي الوقت نفسه كان ثمة بيانات تبدو وكأنها تعيق تقدمنا.

كان كاونــدا إيجابياً تجاه روديسيا وصعب المراس تجــاه ناميبيا. وعمد إلى إغراء روجرز وشانيل بالاجتمــاع مع سام نيوجوما، زعيم جماعة «سوابو» (SWAPO) حيث ينتظرنا نيوجوما ـ وهي سابقة يمكن أن تسبب مشكلة بالتأكيد. لم يفوت بخومو فرصة للمجازفة بالنية الطيبة للمبعوثين التابعين لي عن طريق الاستخفاف بأهميتهم. وكانت اقتراحاته السياسية متهورة. أراد نيوجوما أن يضم المؤتمر المقتــرح حول مستقبل ناميبيا اعتبار جماعة «سوابو» سلطةً ناميبية أساسية، ربما تصبح شرعية في المستقبــل عن طريــق استفتاء. ورفض مشاركــة مجموعات ناميبية أخرى فــي المفاوضات إلا بضعة على أنها جزء من وفد جماعة «سوابو». وحثنا كاوندا، الذي قام بواجباته تجاه المتطرفين عن طريق ترتيــب اللقــاء، على متابعة النهــج القائم، رغم معرفته أن مــا كان يطلبه نيوجوما لــم يكن مطروحاً في الخطة: «خلُص نيريري بتأكيده على أن يوافق على استراتيجيتكم، ومهمته أن يقنعهم على أساس مشاروتنا».

لما كان نيريري لم يعط جواباً إلى شافيل عما فهمه من استراتيجيتنا، أرسلت إليه رسالة تخدير تفيد بأن الفرصة محدودة وقد لا تتكرر:

> أنــا متأكد أنك تفهم الوضــع الداخلي لجنوب أفريقية جيداً بحيث تعلم جيداً بأننا إذا لم نتحــرك بسرعة فسيجد فورستر من الصعوبــة بمكان أن يتعاون. أصارحك القول إنه إذا تبخــرت الآمال المتواضعة لإيجاد حل فسيزداد العنف في روديسيا، وتتراجع قدرتنا على الوصول إلى إسهام إيجابية أيضاً.

كذلك هي حال الوقائع السياسية في بلادنا، ولا سيما أثناء سنة الانتخابات. إن الأحداث في أمريكا يمكن أن تعزز فجوة بعد شهر تشرين الأول حتى مجيء السنة الجديدة، مما يجعل الوصول إلى حل سلمي أكثر صعوبة.

برنامج سياسي لروديسيا:

طيلة هذه الفترة بدا الرأي العام في الولايات المتحدة معارضاً بشدة لأية تسوية تقوم على حساب الأقليات البيضاء. بعد خطبتي في لوساكا، تلقت وزارة الخارجية 1700 رسالة سلبية و23 رسالة فقط تؤيد حكم الأغلبية. في غضون ذلك كان فورد يصر بصعوبة على المؤتمر ولكن بثمن باهظ لقبوله بيند يتنصل من سياستنا تجاه السوفييت. وفي المذكرة الصباحية في 30 آب، منحت فورد فرصة أخرى للانسحاب من سياستنا الأفريقية: نحتاج إلى أن نفكر في الموضوع.. في وضعك السياسي.. لا أريد وضعاً مشابهاً لوضعنا في تكساس» . وصفت له الفرص بالنسبة إلى روديسيا بأنها أفضل قليلاً من 50%، وأنها في ناميبيا أكثر قليلاً من هذه النسبة. «أستطيع القول إننا لا نستيطع حتى 15 نوفمبر، ولكن إذا امتدت إلى ما بعد كانون الثاني (يناير) فسنكون أقل قدرة على المواجهة. لم يتردد فورد:

أعتقد أنه إذا كانت جنوب أفريقية داخلة في الحل، فإن الموقف سيكون مختلفاً، أعتقد أن الأمر إذا كان صواباً فعلينا القيام به، والنتائج السياسية ستكون على ما يرام.

ذلك كان هدفي عندما توقفت في لندن لإنجاز برنامج سياسي نستطيع أن نحمله إلى فورستر. كان البريطانيون قد أعدوا مسودّة من أجل حكومة انتقالية لفترة أقصاها سنتان ـ الملحق C المشهور كانت تدعو إلى «مجلس الدولة»، بدلاً من الحاكم البريطاني، سيكون لسكان روديسيا البيض الأغلبية فيه، ويكون للزنوج حق الفيتو، ومجلس وزراء يرأسه زنجي وأقلية بيضاء (الأقلية البيضاء في مجلس الدولة عُدل وضعها فيما بعد، على طلب كالاهان، إلى عدد متساو لكل طرف، ورئيس أبيض ليس له حق التصويت). وسيكون «مجلس الدولة» مسؤولاً عن تنفيذ حكم الأكثرية فيما يتعلق بالدفاع والأمن الداخلي. وستتولى بريطانيا معالجة العلاقات الخارجية. والحكومة ستتولى الإشراف على إدارة الأمور يوماً بيوم. كانت الغاية هي إنجاز تحول تدريجي إلى حكم الأغلبية كامل في غضون سنتين على الأكثر بدون إرهاب البيض أو إثارة التوترات وسط الجماعة الزنجية.

كان الملحق ث (C) وثيقة مهذبة مأخوذة بالكامل من الممارسة الدستورية البريطانية وقد بدت لي ولزملائي معقولة. والحق أنه لم يكن لدينا سبب للرفض بالنسبة إلى التفاصيل كما لم يكن لدينا الخبرة إلى الذهاب وراءها. فبعد الفترة الانتقالية، سيتم تحضير دستور جديد لروديسيا في مؤتمر دستوري. قبلنا المسودة البريطانية واستخدمناها كوثيقة أساسية في جميع مفاوضات السياسية في أفريقية.

ولمـا كان اللاعبـون الرئيسيون فـي كلا الجانبين يعملون برقـة وراحة فيما بينهم، فقـد أفضى هذا إلـى تقسيم سليم للعمل. أدار الأمريكيون المفاوضات بصورة تـؤدي إلى اختراق ولكن على أساس برامج تستحـق أن تسمى «صنع في بريطانيا» الضمانات الاقتصادية للأقليات البيضاء كانت قد أُعدّت في وزارة الخارجيـة مـع بعض الإسهام من جانـب بريطانيا. الضمانـات والقواعد السياسيـة المقترحة في الفترة الانتقاليـة كانت بريطانيا الطابـع بالكامل. فيما بعد سيكون هناك بعض الاضطراب حول الوضع الرسمي للملحق ث (C) ـ سواء أكان وثيقة عمل أم لا فقد نال موافقة الحكومة رسمياً ـ وهذه مسألة حلها كالاهان بدعوتـي إلى اجتماع حكومي أسبغ الطابع الحكومـي الاحترافي على الوثيقة (التي ستعالج في نص تال). مهمـا كانت الاضطرابات المؤقتة والظرفيـة لدبلوماسية ليس لها سابقة، فإنها قـد أحدثت اختراقاً على قاعـدة الاستراتيجيـة الأمريكية، مع طاقة وقدرة الأفكار البريطانية وهذا مـا يطلب من تحالف بل وأكثر مما تحقق.

obeikandl.com